

الثورة الأندلسية الكبرى على الأباطورية الإسبانية (٢ من ٢)

الفترة الثانية: ١٥٦٨ - ١٥٧٠

عادل سعيد بشتاوي *



فيليب الثاني

تدارس الوضع مع مستشاريه العسكريين.

دون خوان النموسي

وجاءت ثورة الأندلسيين في سنة من أسوأ سنوات حكم فيليب الثاني، إذ كانت انتفاضة الهولنديين على أشدها منذ اندلاع الاضطرابات هناك قبل سنتين، وبدأ العثمانيون يحققون الانتصار تلو الآخر في البحر الأبيض المتوسط وراحوا يهددون شواطئ ممالكه هناك. وفي تلك السنة أيضاً اندلعت الثورة في فلبين وقطعت أساطيل البروتستانت الطرق البحرية إلى خليج بيسباية، ثم فقد فيليب زوجته المفضلة ماري ومات ابنه ووريثه دون كارلوس في السجن الذي أودعه فيه والده بعدما ظهرت عليه علامات الجنون. وخشي فيليب الثاني أن يستغل خطر السيطرة على جنوده فأخذ هؤلاء يمارسون أعمال القتل بلا حساب فتحرك الأندلسيون بسرعة وبسطوا سيطرتهم على البشيرات. وفي غرناطة نفسها وصلت إلى الحامية إرساعات عن قيام الثوار الأندلسيين بقتل ٩٠ قسيساً و١٥٠٠ قشتالي فهاجم الجنود سجن البيازيرين ونهبوا ١١٠ أندلسيين كانوا فيه، وبما سار مندخار إلى السجن مع حراسه لإخماد الاضطراب قابله القائد بقوله: هذا غير ضروري فالسجن هادئ لأن جميع الأندلسيين أموات (١) وأمام الفلتات الوضع أقر مركزين مناورات بعجزه عن السيطرة على الوضع ووضع نفسه تحت إمرة فيليب الثاني، وكانت نار الثورة بدأت تستعر بسرعة وتنتشر في مناطق جديدة في الجنوب عندما بدأ الملك

تقرير رسمي بذلك يتضمّن ما يمكن إثباته بشهود وكان اللقاء جافاً والتوعد ظاهراً فخرج الأندلسيون وهم يتوقعون الأسوأ.

وكتب دون خوان إلى فيليب رسالة مطولة أوصى فيها بالحزم في التعامل مع الثوار، وتعهد لأخيه بالقضاء على الثورة سريعاً إن اعطاه الصلاحيات وأطلق يديه. وكان دون خوان وانقأ أن فيليب سيأخذ برأيه فاستبق الموافقة وبدأ تنظيم الجيش، وراح يرأس النبله في الجنوب لده بالرجال والسلاح والتجمع في غرناطة استعداداً لبدء العمليات العسكرية. واحتشد الجنود واستعدوا بينما انتظر دون خوان جواب فيليب. إلا أن الانتظار طال، ولم تكن هناك فائدة من استعجاله لأنه لم يكن يحب الاستعجال في شيء، واستغل الأندلسيون تردد الملك فالتحق بالثوار عدد كبير من المتطوعين حتى صار قوامهم نحو عشرة آلاف مقاتل، وبدأوا يشنون الهجمات على مواقع القوات القشتالية فاستمكوا عدداً منها.

ثم نقلوا الحرب إلى مناطق قريبة من مدينة غرناطة ودارت معارك بينهم وبين القشتاليين قرب الأسوار. وسرت في القشتاليين المخاوف من إنقلاب الأندلسيين الغرناطيين عليهم فتصدوا في معالمتهم ما أدى إلى فرار بعضهم من المدينة والاختنا بمعاقل الثوار. وخلال فترة قصيرة اتسعت الرقعة التي بسط عليها الثوار نفوذهم حتى شملت معظم المناطق المحيطة بمدينة غرناطة.

وصلت أخباراً أوامر فيليب الثاني أخذاً في الاعتبار معظم توصيات أخيه لكنه أمر بشطر القوات التي تجمعت من مدن كارلوس في السجن الذي أودعه فيه والده بعدما ظهرت عليه علامات الجنون. وخشي فيليب الثاني أن يستغل خطر الثورة ويستغل العثمانيون استمرارها لهجوم صقلية والجزائر الشرقية وربما الجنوب الأندلسي فأختار مهمة القضاء على الثورة أخاه دون خوان النموسي الذي كان زوّج والده كارلوس الخامس مع محظية هولندية.

وكان دون خوان مريد في ٦ نيسان ١٥٦٩ وجرى لدى وصوله إلى غرناطة احتفال كبير شارك فيه الأندلسيون. وتجاهل دون خوان مستقبله الأندلسي وتوقف عن الطريق إلى بعض النساء القشتاليات اللواتي كن يرتدين ملابس الحداد على اقربائهن. فأبدي تعاطفه ووعدهن بالانتقام السريع. وفي اليوم التالي زاره وفد من عرب المدينة يشتكون إليه جور السلطة ومضايقات الجنود النازلين في ضيافتهم فطلب منهم رفع

المفتوحة أمامه وهي البحر. وداعت أبناء انتصارات الثوار فتحتمس الأندلسيون في المناطق المحيطة بمدينة الحامة وقاصوا على القوات القشتالية فانسحب من أرياف المنطقة ومعها المليشيات القشتالية وتحصنت وراء أسوار المدن. وعمت بعدها الانتفاضة في الجنوب، وبدأ الأندلسيون مناوشات عسكرية حول بعض أهم مدن مملكة غرناطة مثل مالقة وبلش مالقة ومطريل وموتري والمكتب Al-munecar.

وفاجأ تسارع الأحداث دون خوان فيليب الثاني يستعجله إمداده بقوات إضافية فأصدر أوامره إلى القائد الأعلى ريكويشيس بوقف سير جيش من الجنود المخترفين إلى إيطاليا لتعزيز القوات الإسبانية تحسباً من هجوم العثمانيين، والتوجه على الفور إلى الجنوب لقمع الثورة في جبال الحامة. واشتدّت قوات ريكويشيس مع الثوار وارتفعت الجبال، ثم هاجم مدينة فرجالة Frigiliana التي كانت وقتها من أقوى معاقل الثوار (٢) وحاول ريكويشيس اقتحام المدينة مرات عدة فمضى بخسائر كبيرة أجبرته على ضرب الحصار حولها. وخرج الثوار الأندلسيون من المدينة إلى القوات القشتالية لكسر الطوق عنها فدارت معركة عنيفة انضمت خلالها مليشيات مالقة إلى قوات ريكويشيس فقلبت الميزان وانكسر الثوار فاحتضمت القوات المشتركة المدينة. وفي التاريخ الإسباني أن قوات ريكويشيس والمليشيات فقدت في المعارك التي دارت على مشارف فرجالة نحو ٦٠٠ شخص لكنها تمكنت من قتل الفين إلى ثلاثة آلاف أندلسي في حين تمكن نحو الفين أندلسي من الانسحاب والالتحاق بمعسكر ابن أمية. واشتركت الأندلسيات إلى جانب

الفتوح أمامه وهي البحر. وداعت أبناء انتصارات الثوار فتحتمس الأندلسيون في المناطق المحيطة بمدينة الحامة وقاصوا على القوات القشتالية فانسحب من أرياف المنطقة ومعها المليشيات القشتالية وتحصنت وراء أسوار المدن. وعمت بعدها الانتفاضة في الجنوب، وبدأ الأندلسيون مناوشات عسكرية حول بعض أهم مدن مملكة غرناطة مثل مالقة وبلش مالقة ومطريل وموتري والمكتب Al-munecar.

وفاجأ تسارع الأحداث دون خوان فيليب الثاني يستعجله إمداده بقوات إضافية فأصدر أوامره إلى القائد الأعلى ريكويشيس بوقف سير جيش من الجنود المخترفين إلى إيطاليا لتعزيز القوات الإسبانية تحسباً من هجوم العثمانيين، والتوجه على الفور إلى الجنوب لقمع الثورة في جبال الحامة. واشتدّت قوات ريكويشيس مع الثوار وارتفعت الجبال، ثم هاجم مدينة فرجالة Frigiliana التي كانت وقتها من أقوى معاقل الثوار (٢) وحاول ريكويشيس اقتحام المدينة مرات عدة فمضى بخسائر كبيرة أجبرته على ضرب الحصار حولها. وخرج الثوار الأندلسيون من المدينة إلى القوات القشتالية لكسر الطوق عنها فدارت معركة عنيفة انضمت خلالها مليشيات مالقة إلى قوات ريكويشيس فقلبت الميزان وانكسر الثوار فاحتضمت القوات المشتركة المدينة. وفي التاريخ الإسباني أن قوات ريكويشيس والمليشيات فقدت في المعارك التي دارت على مشارف فرجالة نحو ٦٠٠ شخص لكنها تمكنت من قتل الفين إلى ثلاثة آلاف أندلسي في حين تمكن نحو الفين أندلسي من الانسحاب والالتحاق بمعسكر ابن أمية. واشتركت الأندلسيات إلى جانب

الفتوح أمامه وهي البحر. وداعت أبناء انتصارات الثوار فتحتمس الأندلسيون في المناطق المحيطة بمدينة الحامة وقاصوا على القوات القشتالية فانسحب من أرياف المنطقة ومعها المليشيات القشتالية وتحصنت وراء أسوار المدن. وعمت بعدها الانتفاضة في الجنوب، وبدأ الأندلسيون مناوشات عسكرية حول بعض أهم مدن مملكة غرناطة مثل مالقة وبلش مالقة ومطريل وموتري والمكتب Al-munecar.

حي أندلسي في مدينة طريف

انتهاء أعمال الشرفة الثالثة لمعهد الدير البحري

الإقصر - حجاج سلامة

قررت وزارة الثقافة المصرية إقامة احتفالية عالمية في شهر نيسان (أبريل) المقبل بمناسبة انتهاء أعمال ترميم الشرفة الثالثة لمعهد الدير البحري - غرب مدينة الإقصر الأثرية في صعيد مصر - وإعادة جمع وترتيب أحجارها ونقوشها التي ظلت متناثرة لعشرات السنين، وافتتاح الشرفة للزيارة للمرة الأولى بعد أن بقيت مغلقة أمام السياح منذ اكتشاف المعبد في العام ١٨٩٦ ميلادية.

وقال رئيس قطاع الآثار المصرية محمد الصغير -للحياة، إن فريق عمل من المركز المصري - البولندي للآثار ظل يعمل لسنوات عدة لإعادة صورة الشرفة إلى ما

كانت عليه قبل ثلاثة آلاف عام، وتمكن من جمع وتركيب آلاف عدة من القطع الأثرية والمقوشة، وإعادة تكوين المناظر واللوحات التي كانت مفقودة والتي تناثرت أجزاءها عبر الزمان. وأوضح الصغير: «إن الشرفة الثالثة التي جرت عملية إعادة لمكوناتها تحوي بين معالمها قوس الأقداس ومقصورة للإلهة «تحت» إلهة الحكمة والمعرفة في مصر القديمة، ومقاصير أخرى مختلفة، وهي تمثل الجزء الرئيسي من معبد الدير البحري، وتعتبر عن عبقرية البناء المصري القديم من حيث التصميم والنقوش».

إلى ذلك قال المدير العام لمنطقة آثار مصر العليا صبري عبد العزيز: إن معبد الدير البحري يشهد أيضاً مشروعاً لإعادة



أسوار قلعة المدور

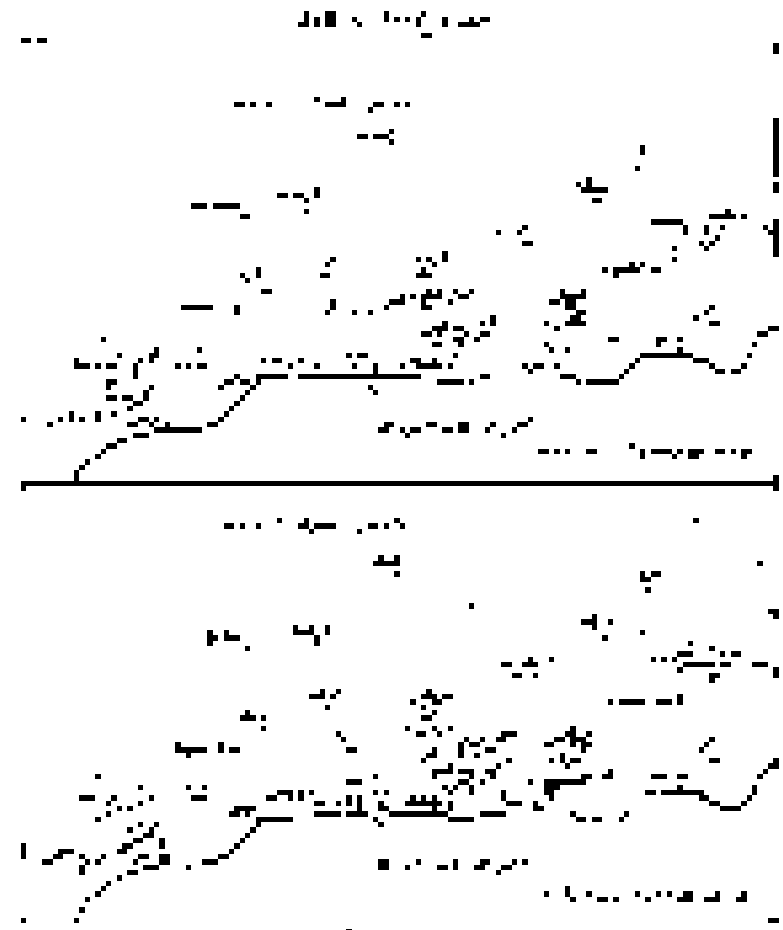
الرجال في محاولة منع القوات القشتالية من دخول فرجالة لكن المؤلف الأميركي برسكوت يقول إن جماعات من النساء الأندلسيات فضّلن بعد اقتحام المدينة الانتحار برمي أنفسهن من على الأسوار والشواهد تخلصاً من الاغتصاب والسيب الذين كان ينتظرهن (٣).

ورد الثوار على سقوط فرجالة في منتصف سنة ١٥٦٩ بهجوم شنه نحو خمسة آلاف تاجر على مدينة سيرون Ser-on التي كانت إحدى المدن التي بقيت بيد القشتاليين في وادي نهر المخسورة الواقع شمال مدينة المرية. وأخفق الثوار في أخذ المدينة نتيجة المقاومة العنيفة التي أبدتها الحامية بقيادة ميرونس Mi-rones، فضرب عليها الثوار الحصار في ١٨ حزيران (يونيو) من السنة ذاتها وقطعوا طرق تموينها. وكان دون خوان كتب إلى فيليب الثاني يقترح عليه نفي سكان مدينة غرناطة بموافقة دي ديها عندما وصلت إليه أنباء حصار سيرون فأمر قائداً عسكرياً يدعى الونوسو

والنشر.

(٢) Frigiliana أو Fraxiliana الواقعة على بعد عشرة كيلومترات شمال نرجة Narja بين مطريل ومالقة.

(٣) وضع هـ. برسكوت سيرتين تتعمتان بقيمة أدبية ملحوظة: أولهما عن إيزابلا وفرناندو ثشرها عام ١٨٤٢، والثانية عن فيليب الثاني ثشرها عام ١٨٥٩. ويورد برسكوت تفاصيل كثيرة عن الثورة في الكتاب الخامس من سيرة فيليب الثاني - الفصول: السادس والسابع والثامن.



سيرة السلطان طومان باي

القاهرة - «الحياة»

صدر ضمن سلسلة «تراث الأمة» عن دار «ميريت» في القاهرة كتاب «طومان باي السلطان الشهيد، مُدرّس الوثائق في كلية الآداب في جامعة القاهرة عماد أبو غازي».

يضم الكتاب سيرة ذاتية للسلطان الإشراف طومان باي آخر سلاطين المماليك الجراكسة في مصر من خلال رؤية معاصريه له، وما ذكرته عنه المصادر القريبة منه، وتغطي الفترة الممتدة من صباه المبكر حتى توليه حكم مصر لأشهر عدة انتهت بشنقه على يد العثمانيين في العام ١٥١٧ ميلادية.

ويقول أبو غازي «إن طومان باي حظي بحب المصريين على رغم قصر الفترة التي تولى فيها حكمهم، وإن ذلك الحب استمر لدى أجيال عدة منهم كاشفاً عن صورة شهيد ظلت مترسبة في الوجدان الشعبي».

ويشير إلى أنه حاول في هذا الكتاب أن يضع يده على سر شخصية طومان باي وحقيقتها التاريخية من خلال البحث في الوثائق التي تحفظت بها الأرشيفات المصرية.

أحياء تراث

التفكير بصوت مفرود

لبنان: بلد صغير... ولد صغير

■ كتب الأستاذ، تركي السديري، رئيس تحرير جريدة الرياض، السعودية، عن لبنان شيئاً كأنه الشعر، ولكنه قطعاً بعض من الحب، وكثير من الصدق، والحذب.

يقول: «لبنان.. هذا الجبل الأخضر.. يذكرنا بحكايات الأساطير». ثم يذكر لنا حكاية ملك من ملوك الهند، دارت عليه الأيام، واقتحم الأعداء بلاده، وعندما استنجد بابنائه الكبار لم ينجدهم بشيء، لكن ابنه الأصغر الذي لم يُعمر اهتماماً، إنبرى للأعداء وقاد المقاومة، حتى طرد المحتلين.

بالنسبة لتركي السديري، لبنان هو الولد الصغير الذي كان مشغولاً طوال وقته بالرسم، والغناء، وترديد الأشعار، ومشاهدة عروض الأزياء، وعروض المسرح، وكان مجروح اللسان بفرنسيته، يتعمد لكتبتها إمعاناً في تأكيد رقيه، ونعومته. هذا البلد الصغير، الولد الصغير، هو الذي فعل ما لم يفعل أي بلد عربي كبير... وحده... الصياد البري الحرّ الطليق، الذي لا يكترث بوجود حكومات، وجيوش، ولكنه يتصيد جنود إسرائيل بهماره تتوالى معها مناسبات الماتم... داخل إسرائيل.

هل هذه المرة الأولى، التي تركنا، ولداً الصغير اللطيف، الرقيق، لبنان، يتلقى الصفعات، والركلات، بينما أخوته الكبار محتفين وراء جدران الشجب والاستنكار؟

كم من مرة، تكسرت أسنانه، ودميت جبهته، وتمزقت ثيابه، سحله الأضاني الشرس، على وجهه، ومسح به تراث «الحارة»، بكى، وتالم، واستنجد، واستصرخ، بينما الإخوة الكبار ينظرون إليه من خلال ثوب المشربيات، مكتفين بلعن العدو والدعاء عليه، والتصفيق، والإعجاب لصمود الفتى الصغير، أو بذل دمعة أو دمتين، على معاناته.

لكنهم يعودون لاستئناف شرب قهوتهم، وتفسير فسقهم، والخوض في أحاديثهم الصغيرة.

البلد الصغير... الحالم لبنان هو البلد الذي نفس فيه الفرقاء الإقليميون والدوليون عن صراعاتهم، وأطماعهم، وتناقضاتهم.

وهو البلد العربي الوحيد، الذي اجتاحتها إسرائيل، ووصلت إلى مشارف عاصمته وأطرافها، وقرباً من مركزها.

جاء وقت كانت البوارج الأميركية تقصف الجبل والسهول، والطائرات الإسرائيلية، تغير على «الصواحي» والبقاع، والفرقاء «الداخليين» يدمرون المواقع، طوياً وعرضاً، والأطفال والنساء والشيوخ، لا يجدون من يستنجدون به، إلا أقبية المنازل، متى وجدت.

كنا نتفرج، ونحزن، ونبكي، ونلطم، ونشجب، ونستنكر، ثم نعود إلى قهوتنا، وأسفتنا، وأحاديثنا الصغيرة، ويبقى ولدنا الصغير لبنان حائراً في الطرقات، مزق الثياب، مكسر العظام.

وأقول لأخي تركي السديري، إن هذا الزمن العربي، هو الزمن الذي يبذل فيه البلد الصغير الحالم، والأطفال الصغار، دماهم نوداً عن الشرف العربي، من العار والخليفة.

كذلك فعل أطفال الحجارة، الصغار من قبل. أملاً كبير رومياً، وأبداً في ظل... عربي صغير.

وقد قال «الفيتوري» على لسان الحكيم «بيدا»:

وقوة الحياة أنها ترفض
إلا أن تكون
اغنية في قلب فنان
وأطفال سيكبرون.

أنور عبدالمجيد الجبرتي



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

حسن صلوات كتبه
الله على الصياد، من أتى
بهن يتصامح كان له
عند الله عهدان
يدخله الجنة
ومن لم يأت
بهن فليس له
عند الله عهدان
يدخله الجنة إن
شاء عبده وإن
شاء إخطه الجنة.

رواه الإمام أحمد
في مسنده وهو في مسند
رواه الإمام أحمد

المدينة	الفجر	الشروق	الظهر	العصر	المغرب	العشاء
مكة المكرمة	٥.٣٠	٦.٤٤	١٢.٣٥	١٥.٤٤	١٨.٢٣	١٩.٥٣
المدينة المنورة	٥.٣٠	٦.٤٦	١٢.٣٥	١٥.٥٢	١٨.٢١	١٩.٥١
القدس المحتلة	٤.٥٠	٦.١٢	١١.٥٤	١٥.٠٥	١٧.٣٣	١٨.٤٨
أبو ظبي	٥.٣١	٦.٤٧	١٢.٣٧	١٥.٤٤	١٨.٢٢	١٩.٤٣
القاهرة	٤.٤٨	٦.٠٥	١١.٥٢	١٥.٠٩	١٧.٣٧	١٨.٤٨
الجزائر	٦.٠٠	٧.٢٦	١٢.٠٣	١٦.٠٨	١٨.٣٦	١٩.٥٦
الخرطوم	٤.٥٧	٦.٠٨	١٢.٠٥	١٥.٢٦	١٧.٥٦	١٩.٠٣
التكوين	٥.٠١	٦.٢٠	١٢.٠٥	١٥.١٨	١٧.٤٥	١٩.٠٠
الرباط	٥.٣٩	٧.٠١	١٢.٤١	١٥.٥٢	١٨.١٨	١٩.٠٦
الرياض	٥.٣٠	٦.١٨	١٢.٠٧	١٥.٢٦	١٧.٥٢	١٩.٢٢
الدوحة	٥.٣٦	٦.٠٠	١١.٤٨	١٥.٠٠	١٧.٣٣	١٨.٤٥
القاهرة	٥.٠٠	٦.٢٦	١٢.٠٩	١٥.٢٤	١٧.٤٩	١٩.٠١
بيروت	٤.٤٩	٦.١٢	١١.٥٢	١٥.٠٣	١٧.٣٠	١٨.٤٧
بغداد	٥.١٥	٦.٣٦	١٢.١٨	١٥.٢٨	١٧.٥٥	١٩.١١
تونس	٥.٣١	٦.٥٧	١٢.٣٥	١٥.٤١	١٨.٠٧	١٩.٢٧
جيبوتي	٥.١٣	٦.٢٣	١٢.٢٢	١٥.٤٣	١٨.١٨	١٩.٢٥
دمشق	٤.٤٦	٦.٠٩	١١.٥٠	١٥.٠٠	١٧.٢٦	١٨.٤٤
دبي	٥.٣٠	٦.٤٥	١٢.٣٣	١٥.٥٠	١٨.١٨	١٩.٣٠
صنعاء	٥.١١	٦.٢١	١٢.١٨	١٥.٣٩	١٨.١١	١٩.١٨
طرابلس الغرب	٥.١٨	٦.٠٩	١٢.٢٢	١٥.٣٣	١٨.٠٠	١٩.١٧
عمان	٤.٤٨	٦.٠٤	١١.٥٢	١٥.٠٣	١٧.٣٠	١٨.٤٥
مسقط	٥.١٥	٦.٣٠	١٢.٠٢	١٥.٣٩	١٨.٠٧	١٩.١٧
مقديشو	٤.٥٨	٦.٠٦	١٢.١٣	١٥.٣١	١٨.١٥	١٩.٢١
نواكشوط	٦.١٢	٧.٢٥	١٣.١٨	١٦.٣٨	١٩.٠٨	٢٠.١٨
أنقرة	٥.٠٠	٦.٣٠	١٢.٠٥	١٥.٠٥	١٧.٣٣	١٨.٥٧
طهران	٥.١٥	٦.٣٩	١٢.١٦	١٥.٢٤	١٧.٥٢	١٩.١١
أنبا	٥.٣٦	٦.٠٣	١٢.٣٧	١٥.٤٥	١٨.١١	١٩.٣٣
برلين	٥.٧٧	٦.٠٦	١٢.٢٢	١٥.٠٨	١٧.٣٣	١٩.٠٧
بروكسيل	٦.٠٠	٦.٠٦	١٢.٥٨	١٥.٣٧	١٧.٣٧	١٩.٤٥
باريس	٦.١٥	٦.٤٤	١٣.٠٥	١٥.٥٠	١٨.٢٢	١٩.٥٤
جنيف	٥.٤٧	٦.٢٥	١٢.٥٥	١٥.٤١	١٨.١١	١٩.٠٤
روما	٥.٢١	٦.٠٤	١٢.٤٤	١٥.٢٤	١٧.٥٢	١٩.١٨
ساراييفو	٤.٥٨	٦.٣٢	١٢.٠١	١٥.٠٦	١٧.٢٦	١٨.٥٦
ستوكهولم	٥.١٩	٦.٠٢	١٢.٠٣	١٤.١٨	١٦.٥٠	١٨.٣٦
كوبنهاغن	٥.٢٤	٦.١٥	١٢.٠٤	١٤.٥٢	١٧.٢٩	١٨.٤٠
لندن	٥.١٨	٦.٥٧	١٢.١٦	١٤.٤٤	١٧.٢٧	١٩.٠٢
مريد	٥.١٧	٦.٥٧	١٢.٠٣	١٤.٣٠	١٧.١٥	١٨.٣٣
ننقوسيا	٤.٥٩	٦.٢١	١٢.٠١	١٥.٠٩	١٧.٣٧	١٨.٥٦
واشنطن	٥.١٩	٦.٤٨	١٢.٢٢	١٥.٢٦	١٧.٥٣	١٩.١٧
أوتاوا	٥.١٤	٦.٥٠	١٢.١٨	١٥.٠٩	١٧.٤١	١٩.١١

* تقويم المركز الإسلامي في أ. خ. ألمانيا. ** يرجى مراعاة التوقيت الصيفي